1373 - أَخْدَعُ مِنْ ضَبٍّ .

التخدّعُ : التواري والمَخْدضع من هذا أخذ وهو بيتٌ في جَوْف بيت يُتَوَارى فيه وقالوا في الضب ذلك لتواريه وطول إقامته في جُحْره وقلة ظهوره .

وقال أبو على لكذه : خدع الضب إنما يكون من شدة حَذَره وأما صفة خدعه فأن يعمد بذنبه باب جُحْره ليضربَ به حيةً أو شيئاً آخر إن جاءه فيجيء المتحرشُ فإن كان الضب مجربا أخرج ذنبه إلى نصف الجحر فإن دخل عليه شيء ضربه وإلا بقي في جحره فهذا هو خدعه قال الشاعر : .

وأخْدَعُ من ضَبٍّ إذا جاء حَارِشٌ ... أعَدَّ له عند الذنابة عَقْرَبا .

وذلك أن بيت الضب لا يخلو من عقرب لما من الألفة والاستعانة بها على المحترش هذا قول أهل اللغة .

وقال بعض أصحاب المعاني : العربُ تذكر الضبَّ والضبع والوحر والعقربَ في مجاري كلامها من طريق الاستعارة فأما الضبُّ فإنهم يقولون : فلان خَبٌّ ضَبٌّ فيشبهون الحقد الكامن في قلبه الذي يَسْرِي ضَرَرُه بخدع الضب في جحره وأما الضبع فإنهم يجعلونها اسماً للسنة الشديدة إذ كانت الضبعُ أفْسَدَ شيء من الدواب فشبهوا بها السنة الشديدة التي تأكل المال وأما الوحر فإنه دُوَيبة حمراء إذا جَثَمت تَلْزَق بالأرض فيقولون منه : وَحِرَ صَدْرُ فلانٍ ذهبوا إلى التزاق الحقد بالصدر كالتزاق الوَحَرِ بالأرض وأما العقرب فإنهم يقولون : سَرَتْ عقاربُ [ص 261] فلانٍ وفلان تَدِبُّ عقاربه إذا خَفِيَ مكان شره .

قلت : والمثل أعني قولهم " أخدع من ضب " يضرب لمن تطلُبُ إليه شيئاً وهو يَرُوغُ إلى غيره